

الحلقة الثامنة والأربعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

من المسلم به أن الأحداث التاريخية الكبرى لا تحصل هكذا فجأة، بل تسبقها تراكمات وأحداث هنا وهناك، إلى أن نصل إلى الحدث الهام الكبير. فالحدث الهام يكون حصيلة أو نتيجة لتراكمات وعوامل عديدة تتجمع، إلى أن تصل إلى النقطة الفاصلة الحاسمة. هكذا الثورات والحروب محلية كانت أم عالمية، فهي تأتي نتيجة لتراكمات وأحداث متعددة تؤدي في النهاية إلى الثورة أو الحرب. هل تعلم مستمعي أن الله الخالق العظيم قد مهّد أيضاً لحدث مجيء المخلص المسيح منذ فجر التاريخ؟ وأنه أعدّ المسرح لكي يأتي المسيح في الوقت المحدد له؟

وليس هذا فحسب بل تنبأ الأنبياء أيضاً عن مجيء نبي يمهد الطريق أمام المسيح، ويهيئ الأوضاع لمجيئه. والغريب أن الناس في زمن المخلص المسيح لم يدركوا هذا الأمر، ولم يعلموا أن هذا النبي الذي تنبأ عنه قد أتى فعلاً، وأنه مهّد الطريق أمام مجيء المسيح. وعندما بدأ المسيح يعلن عن حقيقة شخصيته للتلاميذ، وأنه هو حقاً المسيح المنتظر الذي تنبأ عنه الأنبياء منذ القديم، سأله التلاميذ باستغراب قائلين:

«فَلِمَاذَا يَقُولُ الْكُتْبَةُ: إِنَّ إِيْلِيَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ أَوْلًا؟» (أي قبل مجيء المسيح) فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ إِيْلِيَا يَأْتِي أَوْلًا وَيَزِدُّ كُلَّ شَيْءٍ. وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ إِيْلِيَا قَدْ جَاءَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ، بَلْ عَمِلُوا بِهِ كُلَّ مَا أَرَادُوا. كَذَلِكَ ابْنُ الْإِنْسَانِ أَيْضًا سَوْفَ يَتَأَلَّمُ مِنْهُمْ». حِينَئِذٍ فَهَمَّ التَّلَامِيذُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ عَنْ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانَ «(متى ١٧: ١٠-١٣). سنتأمل الآن بإجابة المسيح هذه فابقوا معنا.

صديقي المستمع، لقد وافق المسيح التلاميذ أن النبي إيليا ينبغي أن يأتي أولاً ويرد كل شيء قبل مجيئه. لكنه أوضح لهم أن إيليا قد أتى فعلاً، ولم يعرفه الشعب أنه هو إيليا الذي أتى ليمهد لمجيء المسيح. لا بل اضطهدوه وقتلوه. حينئذ أدرك التلاميذ أنه كان يتحدث لهم عن يوحنا المعمدان أي النبي يحيى.

لعلّ السؤال الآن: ماذا قال الأنبياء عن النبي الذي سيمهّد لمجيء المسيح؟ وهل حقاً تطابقت أوصافه مع النبي يوحنا المعمدان؟ لقد تنبأ النبي ملاخي قائلاً: «هأنذا أرسلُ إليكم إيلياً النبيّ قبل مجيء يومِ الربِّ، اليومِ العظيمِ والمخوفِ، فیردُّ قلبَ الآباءِ على الأبناءِ، وقلبَ الأبناءِ على آباءهم» (ملاخي ٤: ٥-٦). تنبأ هنا النبي ملاخي أن الله سيرسل النبي إيليا ليمهّد لمجيء الرب، وأنه سيصلح الأمور ويجمع قلوب الآباء مع قلوب الأبناء. لم يكن المقصود بهذه النبوءة أن الله سيرسل النبي إيليا مرة ثانية، لكن أن الله سيرسل من هو مثل شخصية النبي إيليا بجرأته وتقشفه، ومجاهرته بالحق دون خوف أو وجل.

وكان النبي ملاخي قد تنبأ أيضاً قائلاً: «هأنذا أرسلُ ملاكي فيهيئُ الطريقَ أمامي. ويأتي بعته إلى هيكله السيد الذي تطلبونه، وملاك العهد الذي تُسرون به. هوذا يأتي، قال ربّ الجنود» (ملاخي ٣: ١). وهنا أيضاً نجد أن النبوءة تصف هذا النبي بالملاك الذي يهيئ الطريق أمام المسيح الربّ المخلص.

أما النبي إشعياء فقد تنبأ عن يوحنا المعمدان قائلاً: صوتُ صارخٍ في البرية: «أعدوا طريقَ الربِّ. قوموا في القفر سبيلاً لإلهنا. كلُّ وطاءٍ يرتفع، وكلُّ جبلٍ وأكمةٍ ينخفض، ويصيرُ المغوجُ مستقيماً، والعراقيبُ سهلاً. فيعلنُ مجدُ الربِّ ويراهُ كلُّ بشرٍ جميعاً، لأنّ فمَ الربِّ تكلم» (إشعياء ٤٠: ٣-٥). لقد شبّه إشعياء هذا النبي الذي سيمهّد لمجيء المسيح، بصوت صارخ في البرية قائلاً: أعدوا طريق الربِّ. وقوموا في القفر سبيلاً لإلهنا. أي هيئوا الطريق، واستعدوا لمجيء الرب المخلص. لتصرّ المنخفضات عالية، والمرتفعات منخفضة، وليصير الأعوج مستقيماً، لأن الرب سيظهر ويُعلن مجده.

أجل مستمعي، أليس هذا ما حصل بالضبط مع النبي يوحنا المعمدان؟ فهو عاش في البرية كارزاً للشعب: «ثوبوا، لأنّه قد اقترب ملكوت السماوات». وكُتب عنه: «فإنّ هذا هو الذي قيل عنه بإشعياء النبيّ القائل: صوتُ صارخٍ في البرية: أعدوا طريقَ الربِّ. اصنعوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً» (بشارة متى ٣: ٢-٣). أي دعا يوحنا المعمدان الشعب للتوبة ليجهزوا أنفسهم لظهور المخلص المسيح. «حينئذ خرج إليه أوّشليم وكلُّ اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن، واعتمدوا منه في الأردنّ معترفين بخطاياهم» (بشارة متى ٣: ٥). لقد تجاوب الشعب مع بشارته فحصلت نتائج وفيرة، إذ تاب الكثيرون.

ولقد وصف البشير متى يوحنا المعمدان قائلاً: «ويُوحنا هذا كان لباسه من وبر الإبل، وعلى حَقْوِيهِ مِنْطَقَةٌ مِنْ جِلْدٍ. وَكَانَ طَعَامُهُ جَرَادًا وَعَسَلًا بَرِّيًّا» (بشارة متى ٤: ٣). أي كان متقشفاً كإيليا النبي. وكما وبَّخ إيليا الملك الشرير آخاب، هكذا وبَّخ يوحنا المعمدان الملك هيروودس لأنه أراد الزواج بهيرووديا امرأة أخيه. وكانت النتيجة أن سجن هيروودس يوحنا المعمدان. ثم قطع رأسه بناء على طلب ابنة هيرووديا التي رقصت أمامه يوم عيد ميلاده. إذن لقد كان يوحنا المعمدان هو إيليا النبي الذي تُنبأ عنه، وهو الملاك الذي أرسله الله، وهو الصوت الصارخ في البرية الذي أتى لكي يمهّد الطريق أمام مجيء الرب المخلص.

نعم، بالرغم من كل هذه الإشارات الواضحة، لم يستطع حتى تلاميذ المسيح الإدراك أن يوحنا المعمدان هو نفسه الذي تنبأ عنه الأنبياء. وأنه هو الذي مهّد الطريق لمجيء المخلص المسيح. وهذا يؤكد أن الله تعالى قد هيئ كل المعطيات والظروف لهذا الحدث العظيم وهو مجيء الملك المخلص يسوع المسيح. ونستطيع تشبيه ذلك أيضاً بالملك الذي يرسل أولاً مندوباً عنه لكي يهيئ لزيارة يريد أن يقوم بها لبلد ما. وهو بالضبط ما فعله الله عندما أرسل يوحنا المعمدان ليمهّد الطريق أمام المسيح.

وماذا عنك مستمعي؟ ألا تؤمن أن المسيح هو المخلص الرب الذي أرسله الله لعالمنا لكي يخلصك وينقذك من عبودية الخطية؟ لم لا تتوب الآن وتؤمن به فتحصل على خلاص الله الكامل؟